



اتخذت جبهة الاقتتال بين حيي جبل محسن وباب التبانة في مدينة طرابلس اللبنانية شكل الجرح المستمر في النزف منذ ٣٧ عاما. فسكان المنطقة الأولى لبنانيون علويون مؤيدون بالفطرة لسوريا وحلفائها المحليين، في حين واصل سكان الحي الثاني مناهضة سياسات دمشق رغم تبديل ولاءاتهم. التغطية التالية تلقي الضوء على جذور الاقتتال في هذه المدينة اللبنانية، التي تميزت عن باقي مناطق لبنان بانتقال شرر الثورة السورية إلى أحيائها.

طرابلس .. التاريخ، التركيبة، الاقتصاد

طرابلس ثاني أكبر المدن اللبنانية، تأسست مرحلة الحداثة فيها بعد منتصف القرن التاسع عشر، مع قانون التنظيمات العثماني. في تلك الفترة، بدأ الخروج من نطاق المدينة القديم، المعروف بالمملوكي، ببناء السلطات العثمانية للسراي الكبير في ساحة التل الطرابلسية المشهورة. وراحت المدينة تتطور تدريجيا بكل اتجاه لتؤسس مدينة حديثة ومتطورة.

انتهت الحرب العالمية الأولى بسيطرة الحلفاء، وسقوط الشرق الأوسط تحت سيطرة الانتدابيين الفرنسي والبريطاني، وكان لبنان من حصص الانتداب الفرنسي الذي بدأ يرسم حياة سياسية للمدينة وفق توجهاته. وتأسست الحياة السياسية الجديدة وفق معايير اتفاقية سايكس-بيكو ١٩١٨، التي قسمت المنطقة العربية، وسلخت لبنان عن محيطه.

في هذا الإطار "ظلت طرابلس ترفض الانسلاخ حتى أواخر الثلاثينات وعندما وافقت، اشترطت زعاماتها أن يبقى الوليد الجديد عربي الهوية والانتماء"، بحسب ما يوضح صاحب جريدة "الإنشاء" السياسية اليومية مايز الأدهمي، رئيس مركز محمود الأدهمي الثقافي للتوثيق والأبحاث والمعلومات، في تصريح للجزيرة نت مذكرا بموقف مفتي طرابلس آنذاك عبد الحميد كرامي.

كانت الحياة التقليدية تعتمد على المراكز الدينية في السياسة المحلية والإدارية. فالمفتي أو الشيخ هو المرجع للبت بأمور الناس، ومن المراكز الدينية تلك انطلقت الحياة السياسية الجديدة. ويقول الأدهمي "انتقلت البيوتات السياسية من المرجعية الدينية، فكانت أبرز العائلات السياسية الحديثة هي آل كرامي والجسر والمقدم".

بعد ذلك، دخلت طرابلس السياسية العصر اللبناني، محافظة على هويتها وانتمائها العروبي، وانتصارها لقضايا أمتها، ولذلك، لم تتوان المدينة عن الانتصار للحركة الناصرية ضد السلطة اللبنانية، وكانت أول من دافع عن المقاومة الفلسطينية بدءا من ١٩٦٩.

ويقول الكاتب السياسي سمير الحسن "تأسست في المدينة أول حركة لبنانية داعمة للثورة الفلسطينية، وهي حركة ٢٤ تشرين بقيادة فاروق المقدم أحد أبناء إحدى أبرز العائلات التقليدية". ويوضح الحسن في تصريح للجزيرة نت أن المقدم سيطر على المدينة باحتلال قلعة طرابلس التاريخية، متحديا السلطة السياسية، وانضم إليه بسرعة مئات الطرابلسيين الذين "ما زالوا مشغولين في ذاكرتهم إلى تاريخهم العروبي".

مع اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، كانت طرابلس منخرطة في هذا الصراع إلى جانب الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، إلى أن انقسم الصف العروبي عام ١٩٧٦ بين مؤيد لسوريا أو لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات. الحسن رأى أنه "تأسس بذلك الانقسام، الصراع التقليدي بين جبل محسن وباب التبانة، والذي لا تزال مفاعيله تتردد حتى اليوم وإن بتداعيات وتعبيرات مختلفة".

التركيبة والنيابة

يتكون سكان طرابلس من مزيج من الطوائف، لكن الغالبية سنية، مع وجود مسيحي أرثوذكسي بلغ الربع في ذروة حضوره في النصف الثاني من القرن الماضي. واختلط المزيج لاحقا بوافدين من البلدات المحيطة فانضم جمع ماروني إلى المدينة. وفيها جبل محسن ذو الغالبية العلوية منذ القدم الذي يضم اليوم زهاء خمسين ألف نسمة. ويمكن اعتبار طرابلس، بانضمام مدينة الميناء إليها مدينة كوزموبوليتية نظرا لوفود الكثير من الناس إليها من مختلف الدول.

بدأت الحياة السياسية الحديثة في طرابلس بعائلات المراكز الدينية، وأول تمثيل لطرابلس كان سنة ١٩٢٠ عندما صدر قرار المفوض السامي بتعيين "اللجنة الإدارية الأولى" للبنان الكبير، فتمثلت طرابلس بعضو منها هو عثمان علم الدين (سني) وفق الموسوعة الانتخابية المصورة في لبنان ١٨٦١-١٩٧٢. وكانت طرابلس تحظى بتمثيل دائم في مختلف المجالس حتى العصر الأخير، وخرج منها عدة رؤساء للحكومة منهم رشيد وعمر كرامي، ونجيب ميفاتي، وأمين الحافظ. وتمثل اليوم بثمانية مقاعد في البرلمان اللبناني.

تأسست سكة الحديد التي تربط المدينة ببيروت والداخل السوري سنة ١٩١٠، وسمحت السلطات الفرنسية بالبدء بتوسيع مرفأ طرابلس سنة ١٩٢١، فنشطت حركة التصدير والاستيراد من وإلى الداخل اللبناني والعربي. ونشأ خط حديدي داخل المدينة نقل البضائع من المرفأ إلى محلة باب التبانة بواسطة عربات تجرها الأحصنة، حيث نما سوق قديم للقمح التقى قربه تجار المدينة والوافدون من بقية أنحاء لبنان وخصوصا من سوريا، ونظرا لكثافة التجار السوريين والحركة إلى سوريا نشأ شارع تجاري كبير عرف باسم شارع سوريا الفاصل بين حيي التبانة وبعل محسن.

وصدرت المنتجات المحلية التي تجمعت في طرابلس من مشاغلها ومن الأرياف، خصوصا الحرير والصابون، إلى الخارج عبر المرفأ وسكة الحديد، فنشطت التجارة. ومع مرور الوقت، نشأت على مقربة من خط الحديد المعروف بالترامواي أحياء سكنية وتجارية خصوصا التل والزهرية، ثم تشعبت لتشكل كافة أحياء المدينة لاحقا.

وفي الثلاثينيات، كانت المدينة الحديثة قد تأسست واتخذت شكلها العمراني الأحيائي، وتأسست شركة نفط العراق سنة ١٩٣٩ لتعطي دفعا تجاريا هاما للمدينة، وبدأت تظهر سنة ١٩٤٤ وما بعد "مصانع لعائلات طرابلسية لتكرير السكر والخشب المضغوط والحديد والزيوت والغزل والتبريد والزجاج ضمت آلاف العمال" وفق ما يذكر محمد نور الدين ميقاتي في كتابه "طرابلس في النصف الأول من القرن العشرين".

وحتى السبعينات كانت المدينة قد تطورت وأصبحت مدينة حديثة ناهضة على صعد اقتصادية وعلمية وثقافية، وانتشرت فيها دور السينما والمسارح والجمعيات الأهلية، حتى بلوغ سنة اندلاع الحرب الأهلية ١٩٧٥، وبداية انتكاسة طرابلس التدريجية وتراجعها المطرد حتى تاريخه دون توقف.

الحياة السياسية

حتى مطلع القرن العشرين، كانت الحياة السياسية غائبة عن طرابلس شأنها شأن معظم مدن السلطنة العثمانية. وأعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨، وأزيح السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩، وجرت أول انتخابات نيابية في طرابلس، تواجه فيها الشيخ محمد الجسر (محافظ) وفؤاد خلوصي (اتحادي تقدمي)، وفاز الثاني، وتكررت الانتخابات عام ١٩١٢، وفاز اثنان الشيخ محمد الجسر وسعد الله المنلا.

ويستخلص من كتاب "طرابلس في النصف الأول من القرن العشرين" لكتابه محمد نور الدين ميقاتي، وكذلك من "الموسوعة الانتخابية المصورة في لبنان" (١٨٦١-١٩٧٢) -كتابها جان معلوف وجوزف أبي فرحات- أن المدينة شهدت نوعا من الحراك السياسي لكن على الخلفية الدينية بهدف انتخاب خلف للمفتي الراحل رشيد مصطفى كرامي، فدعم النائبان الجسر والمنلا ابنه عبد الحميد كرامي، رغم أنه كان قاصرا ولا يحق له تبوؤ مركز الاقتاء.

بعدئذ، دخلت البلاد الحرب العالمية الأولى، وبنهايتها انسحب الجيش العثماني بسبب هزيمته، ودخلت جيوش الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) إلى طرابلس. وبدأت المستجدات تفرض وقائعها، فمال المفتي عبد الحميد كرامي إلى الإنجليز، بينما مال الجسر إلى الفرنسيين.

وبعد توقيع اتفاقية سايكس بيكو، أبقى لبنان تحت النفوذ الفرنسي، وتراجع النفوذ البريطاني الذي بسط نفوذه على فلسطين ومصر، مما انعكس سلبا على المفتي كرامي لأنه ناصر الإنجليز وعارض خطة فرنسا بسلب أربعة أفضية عن سوريا، منها طرابلس، وضمها إلى لبنان الصغير بهدف تأسيس الكيان اللبناني.

ونتيجة لموقفه، ظل كرامي بعيدا عن الانتخابات حتى حلول عام ١٩٤٣، حيث أسس الكيان اللبناني بصيغته النهائية الحالية، وكان النفوذ البريطاني قد عاد قويا نتيجة الضربات التي لحقت بحليفه الفرنسي في الحرب العالمية الثانية. وقتها، ارتفع نجم كرامي وتحالف مع رياض الصلح، وعين رئيس حكومة في ولاية بشارة الخوري عقب استقالة الصلح.

كانت العائلات الطرابلسية قد أسست تحالفات، وشكل بعضها أحزابا، منها "حزب الشباب الوطني" عام ١٩٣٥ على يد آل كرامي، و"حزب النداء القومي" برئاسة قبولي الذوق. ودخلت المدينة صراعات عائلية، لكن آل كرامي ظلوا

يتصدرون الموقف نظرا لشعبيتهم القوية منذ العشرينيات.

وعلى الصعيد الانتخابي-العائلي، يرى الكاتب سمير الحسن أن "الصورة لم تتغير في المدينة إلا بعد بروز التيار الحريري مطلع التسعينيات، ووصول رفيق الحريري إلى الحكم". وقال للجزيرة نت إنه "برزت شخصيات مستجدة في الفترة الحريرية على حساب الكرامية، وكان أبرزها الثريين نجيب ميقاتي ومحمد الصفدي، وبتحالفهما مع الحريرية، تم إقصاء الكرامية عن البرلمان، وبرزت شخصيات في فلك حريري أو قريبة من الحريرية". والحريرية تواجه اليوم تحالفا بين الحركة السلفية والقيادات المحلية الثرية كرئيس الحكومة نجيب ميقاتي والوزير محمد الصفدي، في ظل تقربهما من آل كرامي نظرا لمشاركتهم جميعا في الحكومة الحالية.

الأحزاب والتيارات:

يعود وجود الأحزاب إلى أواسط العشرينيات، منها العائلي ومنها العقائدي كالحزب الشيوعي اللبناني ١٩٢٥، أو الحزب السوري القومي الاجتماعي أواسط الثلاثينيات. إلا أن تفاعل الجمهور معها كان ضعيفا نظرا لتعاطف الجمهور مع التيارات والحركات ذات البعد القومي كالناصرية والبعث.

يقول الدكتور عاطف عطية للجزيرة نت إن "الأحزاب المحلية ظهرت باسم العروبة والوطنية والقومية"، مضيفا أنه "بعد تأميم قناة السويس ١٩٥٦، تأثرت المدينة بالمد الناصري".

ويتابع عطية أن "أحدا لم يستطع منافسة آل كرامي سوى عبد المجيد الرافعي (بعث) أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات"، لافتا إلى "بروز حركة القوميين العرب، لكن بضعف خصوصا لتماهي مواقفها مع المواقف الناصرية".

على الصعيد الإسلامي، يشرح أحد مؤسسي "حركة التوحيد الإسلامي" الشيخ إبراهيم الصالح أن التيار الإسلامي بدأ بالظهور في المدينة مطلع الخمسينيات، وكان يفترض أن يلعب دورا متقدما، لكن سطوع الناصرية وتأثر الناس بها أدى إلى تهميش دوره، وقال إن التيار "تحول إلى الطابع التقيفي خصوصا مع تفاقم النزاع بين تيار الإخوان المسلمين وعبد الناصر في مصر".

ولم يلعب التيار الإسلامي أي دور حتى اندلاع الحرب الأهلية ١٩٧٥ عندما شاركت "الجماعة الإسلامية" في بعض المعارك، وقد أسسها مطلع الستينيات المشايخ فتحي يكن وسعيد شعبان وفيصل المولوي ردا على إعدام سيد قطب.

على صعيد التيار السلفي، يقول الصالح إنه برز قبل الإخوان المسلمين في مصر لكن بمبادرة فردية من الشيخ سالم الشهال، والد مسؤول التيار السلفي الشيخ داعي الإسلام الشهال، ويبرز دوره راهنا لتقدمه في جبهة الدفاع عن المعارضة السورية. أما تيار جمعية المشاريع الخيرية، وحزب التحرير، فبقي تأثيرهما هامشيا.

وثمة ما يطبع الحياة السياسية بطابع شعبي وهو حركة علي عكاوي ورفاقه في الستينيات، وهي مزيج من اليسارية والناصرية، وأسست لبروز حركة "المقاومة الشعبية" بقيادة شقيقه أواسط السبعينيات وحتى اندماجها في "حركة التوحيد الإسلامي" التي لعبت دورا هاما بين ١٩٨٣ و ١٩٨٥ حيث بسطت سيطرتها على المدينة، وتقلص دورها بعد معركة عسكرية مع الجيش السوري وتحالفه من أحزاب أواخر عام ١٩٨٥.

تسلسل زمني لأبرز الأحداث

التاريخ القريب

- ١٩٢٠، فرنسا تعلن في سبتمبر/ أيلول دولة لبنان الكبير بعد خمسة شهور من إسقاط مملكة فيصل العربية في دمشق. وبموجب الإعلان جرى إتباع ولايتي بيروت وتوابعها (طرابلس وصيدا ومرجعيون وصور) والبقاع (راشيا وحاصبيا وبعبك) إلى جبل لبنان لتقيم منها مجتمعة ما عرف بدولة لبنان الكبير.

- ١٩٣٠، شركة نفط العراق تنشئ ، خلال الانتداب الفرنسي على لبنان، مصفاة نفط في طرابلس ومطارا في منطقة القليعات القريبة لخدمة موظفيها.

- ١٩٥٣، نهر أبو علي الذي يشق طرابلس ويعرف بنهر قاديشا يفيض ويدمر أجزاء من المدينة القديمة التي نزح كثير من سكانها وأقاموا حيا بات يعرف بالمنكوبين.

- ١٩٥٨، ثورة على نظام الرئيس كميل شمعون شاركت فيها طرابلس بفعالية، وقاد فيها ما عرف بالمقاومة الشعبية رشيد كرامي الذي شغل ووالده عبد الحميد وشقيقه عمر لاحقا منصب رئيس الوزراء بعد استقلال لبنان عن فرنسا عام ١٩٤٣ .

١٩٧٤، مطلوبون للعدالة بزعامة أحمد القدور وأشقائه ينشؤون في أسواق طرابلس الداخلية وأحيائها القديمة كيانا مستقلة عرف بدولة المطلوبين، والسلطات الأمنية تجرد حملة أمنية عليها تنتهي بعد أسابيع بقتل بعضهم وتطهير طرابلس من نفوذهم

خلال الحرب الأهلية

- ١٩٧٥، انفجار الحرب الأهلية في لبنان بين منظمات يسارية مدعومة من الثورة الفلسطينية ومنظمات يمينية مسيحية انطلقا من بيروت. تبع ذلك دخول الجيش السوري إلى لبنان لوقف الاقتتال لكنه ما لبث أن رسخ وجوده بعد انتزاع معظم مناطق لبنان وبينها طرابلس بموافقة عربية في قمة الرياض عبر تحويله إلى جزء أساسي من قوة الردع العربية.

- ١٩٧٦، عند الهجوم الذي شنته منظمات فلسطينية ولبنانية يسارية في بعض أحياء بيروت لتصفية منظمة الصاعقة الفلسطينية المنبثقة عن الفرع السوري لحزب البعث الحاكم بدمشق هوجم جبل محسن للسبب ذاته.

- ١٩٧٩، انتصار الثورة الإسلامية في إيران يؤثر على الاتجاه العربي والنضالي لخدمة قضية فلسطين لدى نشطاء باب التبانة ومناطق لبنانية أخرى ويوجههم باتجاه الإسلام الحركي.

- ١٩٧٩، اشتباك بين مسلحين من جبل محسن وباب التبانة في ساحة التل بطرابلس تطور إلى قيام متاريس بين جبل محسن وباب التبانة، ودفع الزعيم المحلي خليل عكاوي للخروج من موقع اختبائه في مخيم فلسطيني مجاور والعودة إلى باب التبانة برعاية الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات.

- ١٩٨٢، الجيش الإسرائيلي يجتاح جنوب لبنان وصولا إلى بيروت، وهو ما انتهى بجلاء قوات الثورة الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات والقوات السورية، في حين بقيت طرابلس ومنطقة سهل البقاع بمنأى عن تلك الأحداث.

- ١٩٨٢، الإعلان عن إنشاء حركة التوحيد الإسلامي من ائتلاف ثلاث قوى إسلامية ويسارية سابقة تلاه قيام هذا الائتلاف بإنشاء إمارة إسلامية في المدينة.

- ١٩٨٣، القوات السورية المتمركزة في حي القبة المشرف على المدينة تبادر بالانسحاب من مواقعها فتسارع حركة التوحيد لاحتلال مواقعها.

- ١٩٨٣، ياسر عرفات يعود إلى طرابلس سرا ويدير منها حربته المباشرة مع القوات السورية التي استخدمت التحالف الوطني الفلسطيني الموالي لها أداة في قتاله.
- ١٩٨٣ أمير منطقة الميناء في طرابلس هاشم منقارة يجرد حملة على أعضاء حزب البعث الموالي للعرق وأعضاء حركة ٢٤ تشرين في حيي أبو سمرا والقبة فيقتل ١٦ منهم ويجبر العشرات على الفرار . ثم يتبع الحملة الأولى بحملة مماثلة على أعضاء الحزب الشيوعي وأنصارهم وأسرههم فيقتل ٢٣ شخصا ويجبر عشرات الأسر على الرحيل عن المنطقة.
- ١٩٨٤، عرفات ونحو أربعة آلاف من مقاتليه يجلون عن المدينة بواسطة السفن بوساطة فرنسية سعودية مما يفتح الباب للقوات السورية لإطباق سيطرتها عليها.
- ١٩٨٤، الشيخ سعيد شعبان يوقع في سوريا نيابة عن التيارات الإسلامية اتفاقا مع الحزب العربي الديمقراطي الممثل لعلويي جبل محسن اتفاقا لتجميع السلاح وإزالة المتاريس.
- ١٩٨٥، المنظمات اللبنانية والفلسطينية الموالية لدمشق تشن هجوما على طرابلس استمر شهرا رافقه قصف مدفعي ونزوح سكاني، وانتهى بهزيمة حركة التوحيد الإسلامية ونزع سلاحها.
- ١٩٨٦، اغتيال القيادي في باب التبانة خليل عكاوي في فبراير/شباط واعتقال القياديين في حركة التوحيد هشام منقارة وكنعان ناجي ونقلهما مع آخرين إلى السجون السورية. ولم يطلق سراح الأخيرين إلا عام ٢٠٠٠ بوساطة من الثري الطرابلسي ورئيس الوزراء لاحقا نجيب ميقاتي.
- ١٩٨٦، أنصار عكاوي وبقايا مسلحي التوحيد يقومون بانتفاضة مسلحة ضد القوات السورية في ديسمبر/كانون الأول. والأخيرة ترد عليهم بحملة عسكرية شارك فيها مسلحو الحزب العربي الديمقراطي في جبل محسن في إطار حملة ثأرية أوقعت أكثر من مائتي قتيل.
- ١٩٨٩، توقيع اتفاق الطائف بين فرقاء الحرب اللبنانية برعاية سورية وإعطاء أول فرصة لعلويي لبنان بدخول البرلمان بنائين محسوبين على دمشق أحدهما علي عيد زعيم الحزب العربي الديمقراطي.

مجموعة الضنية وفتح الإسلام

- ١٩٩٩-٢٠٠٠ ليلة السنة الميلادية الأولى لعام ٢٠٠٠ أي قبل هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ على الولايات المتحدة، سجل أول ظهور عنيف لحركة سلفية جهادية في منطقة شمال لبنان.
- حدث ذلك عندما اشتبكت مجموعة مسلحة تدعى "جماعة التكفير والهجرة" مع قوة من الجيش اللبناني في جرود الضنية القريبة من طرابلس والتي لجأ إليها الجهادي الطرابلسي المولد بسام كنج (أبو عائشة) والذي سبق له أن قاتل مع أسامة بن لادن في أفغانستان.
- أدت المواجهات العسكرية بين الجيش والمجموعة التي باتت تعرف "بمجموعة الضنية" إلى مقتل ١٣ عسكريا بينهم ضابط خلال ستة أيام من المعارك و٤٨ مسلحا بينهم أبو عائشة فيما اعتقل ٤٥ آخرون وأخضعوا للمحاكمة.
- ٢٠٠٢ القضاء اللبناني يعلن عن توقيف مجموعة تضم أربعة أشخاص بينهم لبناني يدعى محمد سلطان وسعودي يدعى إيهاب دفع، بعد اتهامهم بالعمل على إنشاء نواة لتنظيم "القاعدة" في لبنان، وإقامة معسكر لهذا التنظيم في شمالي لبنان لإيواء كل المنضوين تحت لوائه، وتدريبهم على أعمال عسكرية بهدف ضرب المصالح الأميركية انتقاماً للحرب الأميركية على المسلمين في أفغانستان، والحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني.

- ٢٠٠٤ أجهزة الأمن اللبنانية تضبط شبكة يقودها شخص من طرابلس يدعى أحمد ميقاتي وآخر يدعى إسماعيل الخطيب قضى جراء نوبة قلبية خلال توقيفه. اتهمت الشبكة بالتخطيط لنسف السفارة الإيطالية في بيروت والسفارة الأوكرانية، وقصر العدل في بيروت، ومقر لقوى الأمن الداخلي، وتهريب مقاتلين لمحاربة قوات التحالف العربي في العراق.
- ٢٠٠٥ أصدر البرلمان اللبناني قانونا بالعفو عن مجموعة الضنية شمل أيضا -وعلا بأحكام التوازن الطائفي- سمير جعجع، القيادي المسيحي الماروني المدان بجرائم عدة بينها اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رشيد كرامي.
- ٢٠٠٧ جماعة فتح الإسلام التي تظهر في مخيم نهر البارد الفلسطيني القريب من طرابلس وبعض أحياء المدينة وتقوم بتفجير حافلتي نقل ركاب في قرية عين علق المسيحية اللبنانية أدى إلى مقتل ثلاثة أشخاص.
- ٢٠٠٧ مجموعة مسلحة تسطو على فرع بنك البحر المتوسط في أميون قبل أن يلجأ أفرادها إلى شقة بشارع المتئين في طرابلس. تبع ذلك اشتباكات بين مسلحين في شارع المتئين وحي الزاهرية تبين أنهم من تنظيم فتح الإسلام.
- وهو ما كان فاتحة لهجوم شنته فتح الإسلام على جنود من الجيش اللبناني تبعته حرب دامت أربعة أشهر على مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين القريب الذي تحصنت فيه مما أدى إلى مقتل نحو ٤٠٠ شخص نصفهم من العسكريين وتهجير سكان المخيم وتدميره ثم سقوطه في يد الجيش اللبناني.
- وفي سياق الحملة على فتح الإسلام التي ضمت لبنانيين وفلسطينيين وسوريين وسعوديين ويمنيين اعتقلت أجهزة الأمن اللبنانية أكثر من مائتي شخص من طرابلس للاشتباه في ارتباطهم بتنظيم فتح الإسلام.
- ٢٠١٢ ملف الموقوفين الإسلاميين الذين أطلق ١١ منهم في ١٩ يونيو / حزيران ٢٠١٢ ما زال يقبع نحو ١٥٠ منهم في السجون اللبنانية بدون محاكمة يتحول إلى مادة تفجير في طرابلس أصابت إحدى شظاياها جبهة المواجهة التقليدية بين حيي جبل محسن وباب التبانة.
- واندلعت آخر جولة قتال بين مسلحين من باب التبانة ومسلحي جبل محسن بعد اعتصام في ساحة النور بطرابلس لذوي الموقوفين الإسلاميين وإلقاء جهاز الأمن العام اللبناني القبض على الشاب السلفي شادي المولوي بتهمة الاتصال بتنظيم القاعدة، في حين قال ذووه إنه اعتقل لدوره في مساعدة النازحين من سوريا جراء الوضع الأمني المتفجر فيها.

بعد الانسحاب السوري

- ٢٣/١/٢٠٠٧ اشتباكات بعلم محسن وباب التبانة تتجدد لأول مرة منذ عام ١٩٨٦ موقعة قتيلين وعدة جرحى. الاحتراب وقع في سياق التوتر المواكب لدعوة المعارضة المقربة من دمشق لإضراب عام، في إطار التجاذب المتواصل مع حكومة فؤاد السنيورة المدعومة من فريق ١٤ آذار بشأن المحكمة الدولية لقتلة رفيق الحريري.
- ١١/٥/٢٠٠٨ استئناف اشتباكات جبل محسن وباب التبانة بالأسلحة الثقيلة بعد أيام قليلة من سيطرة مسلحي حزب الله على غربي بيروت في إطار حوادث ٧ أيار الشهيرة وبعد يوم من مقتل ١١ من عناصر الحزب السوري القومي الاجتماعي على يد عناصر موالية لتيار المستقبل في مدينة حلبا القريبة من طرابلس.
- ٢٢/٦/٢٠٠٨ معارك عنيفة بين التبانة وجبل محسن والقبة بعد توقيع اتفاق الدوحة بين فريق ٨ أيار و١٤ أيار أدت إلى سقوط قتيلين و٣٧ جريحا.
- ٩/٧/٢٠٠٨ ثلاثة قتلى وستون جريحا في طرابلس بعد اشتباكات بين التبانة وجبل محسن انتشر على إثرها الجيش في المنطقة الفاصلة بين الحيين لأول مرة منذ انسحاب الجيش السوري من لبنان.
- ٢٥/٧/٢٠٠٨ اشتباكات بين جبل محسن والتبانة وسقوط تسعة قتلى وعشرين جريحا.
- ٢٧/٧/٢٠٠٨ معارك بين التبانة وجبل محسن والجيش يعزز انتشاره في مناطق الاشتباكات.
- ٩/٨/٢٠٠٨ مفتي طرابلس ورئيس الحكومة فؤاد السنيورة يريان اتفاق مصالحة بين زعيم تيار المستقبل سعد الحريري وزعيم الحزب العربي الديمقراطي رفعت عيد ينتهي بموجبه القتال ويعاد المهجرون جراءه إلى منازلهم.

- ٢٠١١/٦/١٨ الاشتباكات بين باب التبانة وجبل محسن تتجدد ويسقط فيها ستة قتلى و ١٤ جريحا. وقع ذلك بعد إعلان رئيس الوزراء نجيب ميقاتي -الذي كان حليفا لتيار المستقبل ثم انقلب عليه- تشكيل حكومة تحظى بدعم المعارضة السابقة المكونة من حزب الله وحركة أمل والتيار الوطني الحر.
- ٢٠١٢/٢/١١ اشتباك محدود بين جبل محسن وباب التبانة يسفر عن مقتل شخصيتين في ظروف إقليمية مختلفة تطغى عليها أحداث الثورة السورية والاستقطاب الداخلي اللبناني بين مناصرين للنظام السوري ومناصرين للثورة.
- ٢٠١٢/٥/١٤ اشتباكات بين مسلحين من باب التبانة وجبل محسن من جهة والجيش اللبناني من جهة أخرى تسفر عن سقوط تسعة بينهم جندي لبناني. جاءت الاشتباكات إثر توقيف جهاز الأمن العام اللبناني للناشط السلفي شادي المولوي بتهمة الاتصال بمنظمة إرهابية، بينما يقول أنصاره إنه كان ناشطا في دعم النازحين السوريين الفارين إلى لبنان من عنف النظام.

بروفایل باب التبانة

تتبع بلدة أو حي باب التبانة لمحافظة طرابلس، وتتربع البلدة في الطرف الشمالي من طرابلس حيث بساتين اللبمون التي أعطت وفق الرويات مدينة طرابلس لقب الفيحاء. ويحد البلدة ذات الغالبية السنية من الشرق مناطق البداوي وجبل محسن (الجبل يطل عليها من عل)، ومن الغرب نهر أبو علي ومنطقة الزاهرية ومقابر الغرباء، وكانت باب التبانة تسمى قبلا بوابة الذهب، حيث كان أهل الريف وحركة المسافرين إلى سوريا والبحر يتبضعون من أسواقها.

ويرجع اسم باب التبانة نسبة إلى تخزين "التبن"، ويعتبر شارع سوريا من أبرز وأشهر شوارعها، فهو يحتل مرتبة رئيسية في الأسواق التي كانت قائمة ما بين سوريا ولبنان قبل فصلهما عن بعضهما من قبل المستعمر الفرنسي . وتكونت في البلدة منذ الأربعينيات طبقة عاملة حرفية بفعل نشوء عشرات مصانع الحلويات والتنك والحديد والنجارة وقطع غيار السيارات، مما جعل منها قبلة للقادمين من عكار والضنية وزغرتا وساحل سوريا.

شاركت باب التبانة مطلع الخمسينيات في المد القومي العربي حيث انخرط شبابها في الأحزاب الوطنية والقومية واليسارية ، وكان من أشهر رجالاتها الشقيقان علي و خليل عكاوي اللذان ساهما في تشكيل أولى المجموعات الثورية المناطقية التي تدافع عن مصالح أبناء المنطقة.

وتبرز شخصية خليل عكاوي "أبو عربي ١٩٥٥ - ١٩٨٦" وهو من أصل فلسطيني كأحد أبرز وأشهر الشخصيات في البلدة والذي كان أحد أركان حركة التوحيد الإسلامي قبل الانفصال عنها وتشكيل لجان الأحياء والمساجد. خاض عكاوي أولى المعارك الطاحنة بين منطقتي التبانة وجبل محسن المدعوم من سوريا لتقليص نفوذ الأخيرة في لبنان، ليصار إلى اغتياله من قبل مسلحين في منطقة باب الحديد بطرابلس عام ١٩٨٦، وهو ما تلاه خروج أغلب أتباعه المسلحين لمناطق الجنوب أو السفر للخارج.

ووفق روايات أهل المدينة وباحثين في طرابلس، فقد تعرضت البلدة بعيد دفن العكاري لمجزرة كبرى على يد فرقة من الجيش السوري تسمى "الفرسان الحمر" راح ضحيتها المئات وفق توثيقات من كتب عن البلدة، ومن هنا يأتي عداؤ البلدة القديم للنظام في سوريا وكثرة السلاح فيها.

تعاني باب التبانة اليوم من إهمال كبير في بنيتها التحتية وأعداد كبيرة من الشباب العاطلين عن العمل، وتعد من أفقر مناطق الشمال اللبناني على الإطلاق، وتشكل بذاتها المنطقة الأكثر كثافة سكانية من بين مناطق طرابلس حيث تشكل نسبة السكان فيها ١٨% من مجموع سكان المدينة.

المنطقة مشهورة جدا، وعلى مستوى طرابلس، بالزعران والفتوات، وتنتشر فيها المخدرات وأصحاب السوابق بسبب الحرمان من الخدمات خلال الوجود السوري وفي المرحلة السابقة عليه. باختصار الحي عبارة عن فسيفساء من الألوان والأطياف والمشاكل الأمنية والاجتماعية المركبة، يجمعهم العداؤ لسوريا، وجبل محسن المتختم بعناد ثقيل يعتقد أن

الجيش السوري تركه فيه فور خروجه عنوة من لبنان بعد اغتيال الحريري في فبراير/شباط ٢٠٠٥.

بروفایل بعل أو جبل محسن

يتركز وجود الطائفة العلوية راهنا في سهل عكار، وبعل محسن بطرابلس. ويقول كتاب "المسلمون العلويون في لبنان" لأحمد وحامد حسن أنهم جزء لا يتجزأ من سكان طرابلس الأصليين، ويعود بهم إلى تاريخ المدينة عندما كانت شيعية تحت سيطرة بني عمار قبيل الحروب الصليبية. كما يظهر الكتاب انتشار العلويين في أنحاء مختلفة من لبنان إلى جانب بقية الطوائف.

وفي طرابلس، يقيم العلويون تاريخيا في أحد أحياء باب التبانة التي توزعت على تسميات كبعل الدراويش، وبعل الدقور، وبعل السراقبة وبعل محسن. ومن هنا يعتبر الحي جزءا لا يتجزأ من بنية باب التبانة. ولئن تركز وجود العلويين بكثافة في بعل محسن، إلا أنهم انتشروا خارجه، وامتدوا إلى بقية الأحياء التي تقدمت تسميتها كلمة "بعل"، وسواها حيث تقيم تجمعات من السنة الطرابلسيين.

اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية، ولم يكن العلويون طرفا في النزاع كطائفة، أو كمجموعة، لا بل "كان كثيرون من أبنائها منضوين في تيارات علمانية كالحزب الشيوعي اللبناني، وحزب البعث"، بحسب ما يذكر الباحث الطرابلسي المخضرم محمود حروق الذي ساهم منذ الستينيات في تطورات المدينة، والأحداث الجارية فيها آنذاك. وبذلك، يمكن القول إنه حتى عام ١٩٧٥، لم تكن هناك تفرقة طائفية أو مذهبية بين سكان باب التبانة، وإن كانت "السنية" هي الغالبة عددا على تشكيلتها الديمغرافية، دون أن يكون لذلك التشكل، والتوزيع أية تعبيرات سياسية.

مطلع السبعينيات، برزت حركة في بعل محسن، أسميت بـ"حركة الشباب العلوي"، أعلنها علي عيد، العائد إلى محلته بعد الهجرة منها للدراسة في الولايات المتحدة الأميركية، ثم في الجامعة الأميركية في بيروت، والهدف المطالبة بحقوقهم كطائفة مستقلة.

بداية الصراع

وفي سنة ١٩٧٦، انقسمت "الحركة الوطنية اللبنانية" بين تجمعات موالية لسوريا وأخرى موالية لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات، واندلعت صدامات بين الانقسامين انتهت إلى تهجير سكان بعل محسن نحو سوريا.

يقول حروق -للجزيرة نت- إن "علويي بعل محسن عادوا إلى موطنهم مع عودة الجيش السوري إلى لبنان، بعد أشهر من تهجيرهم". ويروي حروق أنه مع عودة العلويين إلى بعل محسن محميين من الجيش السوري، "بدأت عناصر منهم بالانتقام من أشخاص اعتبروا أنهم آذوهم في أحداث ٧٦، وأدت أعمال التار إلى مقتل العديد من أبناء المحلة المقابلة باب التبانة، وتطورت الممارسات إلى ردود فعل، واتسعت المصادمات، وكبرت". ويصف أبعاد الصراع بالسوري الفلسطيني، لكن شكله كان طائفيا وبدا أنه بين المذهبيين.

في ١٩٨٦، توقف الصراع بين بعل محسن وباب التبانة عقب تمكن الجيش السوري من إحكام قبضته على المدينة، لكنه تجدد ارتدادا لأحداث ٧ مايو/أيار ٢٠٠٨ التي وقعت في بيروت. وبعد ذلك، يوضح الكاتب الصحفي عبد الكافي الصمد - للجزيرة نت- أن "خط التماس بين المحلّتين بات مهددا بالتفجر كلما برز أي توتر على خلفيات صراع مع سوريا، وآخرها الصراع على إسقاط النظام السوري أو حمايته من السقوط".

العلويون والدستور

يلحظ الدستور اللبناني العلويين كطائفة من الـ ١٨ التي يتكون لبنان منها. لكن الطائفة لم تعط موقعا سياسيا أو نيابيا إلا بعد اتفاق الطائف، حيث أعطيت مقعدين واحد في طرابلس وآخر في عكار. ونظرا للتأثير الكبير لتيار الرئيس الراحل رفيق الحريري على المنطقتين، استطاع أن يحدد نواب الطائفة بالتحالف معهم. يقول الصمد إنه "بعد أن كان علي عيد نائبا بالتعيين مطلع التسعينيات زمن الوجود السوري، باتت القوة الحزبية تحدد نواب الطائفة، فانتخب أحمد حبوس في دورتي ١٩٩٦ و ٢٠٠٠، وبدر ونوس في دورتي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٩، بطرابلس".

الثورة السورية وطرابلس

تبدأ المفارقات في مدينة طرابلس بشمالي لبنان من اتخاذ سوريا تسمية رسمية للشارع الذي يفصل منطقة بعل محسن ذات الأغلبية العلوية وباب التبانة السنية، ولا تنتهي في كون المنطقة كانت آخر المناطق التي تنضم إلى لبنان بعد أن كان التوجه السائد بها يدعو إلى الانضمام إلى سوريا.

الأحداث التي شهدتها المدينة خلال الأشهر الأخيرة والتي بلغت ذروتها بمقتل وجرح العشرات في أسوأ موجة أعمال عنف منذ ١٩٨٦، تطرح تساؤلات أمام المراقبين عن مدى ارتباط الثورة السورية ومآلاتها بواقع ومستقبل المدينة الشمالية بل بواقع ومستقبل لبنان ككل.

ولا تعد تلك الاشتباكات جديدة، فالمنطقة شهدت مناوشات واشتباكات أعنفها في فبراير/شباط من العام الحالي، ويونيو/حزيران من العام الماضي على خلفية مواقف سكان المنطقتين مما يجري في سوريا، كما أن تدفق اللاجئين على المناطق القريبة زاد من درجة الاحتقان بين مناصري الرئيس السوري بشار الأسد ومعارضيه.

الكاتب البريطاني روبرت فيسك وفي مقال سابق في صحيفة إنديبندنت تساءل إن كانت الحرب في سوريا تنزلق عبر الحدود إلى لبنان، أم إن بشار الأسد وموازة مع محاربة معارضيه في الداخل يسعى إلى أن يشعل رماد النيران التي هدأت عقب رحيل القوات السورية سنة ٢٠٠٥؟.

في إجابته على تلك الأسئلة يمضي فيسك قائلاً إن هنالك وجهتي نظر فيما يتعلق بالاضطرابات التي هزت المدينة، فالسنة يرون أن الطائفة التي تعيش في بعل محسن مجرد أعضاء في الشرطة السرية السورية وأفراد تابعين للحرس الثوري الإيراني، يتعمدون إطلاق النار على سكان باب التبانة السنة في محاولة لنقل نيران الحرب الأهلية إلى لبنان.

بينما يعتبر العلويون أن بعل محسن ضاحية فقيرة ومعزولة تتعرض لحصار ونيران مسلحين سنة ومعارضين للنظام السوري مدعومين بدول في المنطقة مثل السعودية وقطر، ويهدفون إلى إجبار سكان بعل محسن على مغادرة طرابلس.

وإذ كان حلفاء النظام في سوريا يربطون أحداث طرابلس بسيناريو يهدف لإقامة منطقة عازلة تمد الثورة السورية بالسلاح والرجال والمال، فإن خصوم نظام الأسد يعتبرون أن تلك الأحداث جزء من عملية تصدير مأزق الأسد إلى الداخل اللبناني عبر إحداث فتن قد تدفع بالمشهد اللبناني إلى مزيد من التعقيد.

وخلال الأحداث الأخيرة قفز معطى جديد للصراع في المدينة وهم السلفيون الذين تتهمهم الأوساط اللبنانية المؤيدة للنظام السوري بتزويد الجيش الحر بالسلاح والعتاد، وإيواء المنشقين عن الجيش النظامي، وتسهيل مرور عناصر القاعدة والأسلحة إلى الأراضي السورية.

وبين هذا الفريق وذاك يقف الجيش اللبناني عاجزاً عن وضع حد للمواجهات ويكتفي بالوقوف كحائط فصل بين الطرفين للحيلولة دون اندلاع شرارة مواجهة جديدة من دون أن تكون له القدرة على الحسم النهائي للمسألة. فيما يعيد الانتشار المتزايد للسلاح في تلك المنطقة فتح ملفات أليمة لدى اللبنانيين، الذين يخشون من عودة حقبة الحرب الأهلية. ودفعت هذه القضية إلى ارتفاع الأصوات المطالبة بتسوية قضية

السلاح في لبنان واستئناف جولات الحوار الوطني المتوقفة منذ أمد طويل، بعدما عجزت عن حل قضية سلاح حزب الله.

ويرى مراقبون أن حيازة أي طرف على السلاح، حتى لو أعلن أنه لمقاومة إسرائيل، يدفع أطرافاً أخرى إلى التسلح أيضاً تحت أسباب ومسميات مختلفة، ويرى آخرون أن زيادة تسليح الفريق السني في الشمال قد يدفع إلى قيام ضاحية شمالية "سنية" في مقابل الضاحية الجنوبية "الشيوعية" معقل حزب الله. ولتجاوز ذلك تزداد الدعوات بحصر السلاح في أيدي الجيش، وقوات الأمن الوطني، وسحبه من جميع الميليشيات والأحزاب.

اقتصاد الحرب

في تقصيه لظروف نشوء الاكتظاظ السكاني في حي جبل محسن وباب التبانة في مدينة طرابلس اللبنانية ينقل الكاتب اللبناني محمد أبو سمرا في كتابه "طرابلس مدينة الله وميناء الحداثة" عن الباحث طلال خوجة ما يلي: "حتى مطلع الخمسينيات كان جبل أو بعل محسن تلة تكسوها أشجار الزيتون ويملكها شخص من عائلة محسن السنية الطرابلسية، أما العائلات العلوية فكانت حتى أواخر الستينيات منتشرة على اختلاف فئاتها الطبقيّة في حارات القبة وباب التبانة وعقبة المفتي وفقاً لواقعها الاجتماعي، وكان أبناء تلك العائلات منخرطين كغيرهم في الحياة الاقتصادية والمهنية للمدينة وكان لهم حضور في الأحزاب الشيوعية".

وحول الأسباب الداعية لتوسع السكن في الحيين يضيف أبو سمرا "كانت الأعمال الناشئة طوال ستينيات القرن العشرين في شارع سوريا حيث سوق القمح والخضار ومصانع البحصاص وأعمال المرفأ هي التي عززت البناء الشعبي الكثيف في باب التبانة وجبل محسن على السواء لإسكان المهاجرين الريفيين الوافدين من الريف المحلي والريف السوري دون أن يتخذ السكن في البنايات الجديدة منحا مذهبيا صافيا في البداية".

أما عن بدايات تحول الحيين إلى معزلين مذهبيين فيقول الكاتب ذاته إن "الحساسية المذهبية ظهرت بعد إشكال حصل في الجامعة الأميركية بين طالب سعودي وآخر علوي هو علي عيد بعد هزيمة حزيران وشكل الحادث ذريعة لتشكيل حركة الشباب العلوي في حضور طوني فرنجية وتمام سلام ورعايتها وكان الأول ابن الزعيم العشائري الزغرتاوي (سليمان فرنجية) وكان الثاني ابن حليفه السني البيروتي (صائب سلام)".

بعد أكثر من أربعين عاما من نشوء أول تشكيل سياسي علوي وأكثر من ٣٧ عاما على الحرب الأهلية ما زال الحيان يصنفان كحيين فقيرين لم تلتفت إليهما لا السلطات اللبنانية ولا القوات السورية في الوقت الذي كانت فيه الأمر الناهي في لبنان بين أعوام ١٩٧٦ و٢٠٠٥.

ويشير تقرير نشرته بهذا الصدد في أكتوبر/تشرين الأول من عام ٢٠١٠ المجموعة الدولية للأزمات إلى أن الحيين اللذين أهملتهما الدولة وهمشتها، يشكلان مثالا على نموذج للتنمية يركّز على الأحياء الغنية في بيروت. ويضيف أن "الخدمات العامة فيهما في حدها الأدنى، والشبان والشابات ضحايا نظام تعليمي متهاك لا آفاق لهم أبعد من الأعمال الوضيعة أو البطالة. الجهاز الأمني غائب في الأوقات العادية وأكثر من غائب في أوقات الأزمات، يظهر بشكل وجيز بعد الاتفاق على هدنة، كأنه يصادق بذلك على إعادة فرض "النظام"، لكن دون فرض سلطة الدولة. يغذي الشعور بالخذلان وانعدام الأمان الاقتصادي ثقافة الميليشيات الموروثة من الحرب الأهلية في منطقتين متصارعتين لديهما في الواقع الكثير من الأشياء المشتركة".

وتمضي المجموعة الدولية للأزمات قائلة في سياق تقريرها "بالنسبة إلى العديد من الشبان في باب التبانة، شكل الانضمام إلى إحدى المجموعات الإسلامية -التي انتشرت بحرية نسبية منذ الانسحاب السوري- بديلاً جذاباً للعطالة والفشل الاجتماعي. أما الأغلبية العلوية في جبل محسن، فقد التقت حول حزب سياسي لا تشاركه في أغلب الأحيان قيمه واقتناعاته لكنه أمسى اللاعب الوحيد القادر على توفير حد أدنى من الحماية.

ويمضي التقرير الدولي قائلاً "من جهة أخرى، يكتفي الرعاة الخارجيون الذين يدعمون اللاعبين المحليين بإبقاء أولئك في حالة التبعية. هكذا بدت الحال عندما كانت سوريا القوة المهيمنة في لبنان، تدعم العلويين سياسياً في حين لم تفعل شيئاً لتعزيز التنمية في جبل محسن. وينطبق الشيء عينه على الرعاة المتعددين لباب التبانة، سواء تمثلوا في تيار المستقبل الذي يقوده سعد الحريري، أم المملكة العربية السعودية، أم أفرقاء الطبقة السنية الميسورة في طرابلس".

ويقول التقرير أيضاً "إضافة إلى ذلك، وكما يستعمل اللاعبون الخارجيون الصراعات المحلية لخوض مواجهاتهم بوسائل أخرى، فإن المقاتلين المحليين يستعملون صراعاتهم كوسيلة لاجتذاب الدعم الخارجي. وينسحب اقتصاد العنف هذا على جميع مستويات الممارسات السياسية في لبنان".

شادي المولوي.. مشكلة أم جزء من المشكلة

برز اسم شادي المولوي بعد اعتقاله من قبل جهاز الأمن العام اللبناني وهو ما تسبب في اندلاع اشتباكات عنيفة في مدينة طرابلس. وأوقف المولوي (٢٥ سنة) في الثاني عشر من مايو/ أيار ٢٠١٢ بعدما استدرجه جهاز أمني إلى مكتب وزير المال محمد الصفدي في المدينة، وأقر القضاء العسكري في وقت لاحق إخلاء سبيله بكفالة قدرها ٥٠٠ ألف ليرة لبنانية (٣٣٠ دولاراً أميركياً) مع منعه من السفر لاستكمال التحقيق معه.

واتهمت السلطات القضائية المولوي وخمسة أشخاص آخرين بـ"الانتماء إلى تنظيم إرهابي مسلح وارتكاب الجنايات على الناس والأموال والنيل من سلطة الدولة وهيبته". وتطور التوتر الذي أثاره توقيف المولوي إلى اشتباكات مسلحة بطرابلس بين سنة مناهضين لسوريا وعلويين مؤيدين لنظام الرئيس بشار الأسد، أوقعت العديد من القتلى والجرحى.

وعن خلفية المولوي نقلت قناة الجديد عن مصادر أمنية قولها إنه اعتنق فكر تنظيم القاعدة منذ سنوات وتلقى دورات تدريبية عسكرية في أفغانستان وشارك في أعمال قتالية في العراق، أي أنه كان من بين أعضاء تنظيم "الجهاد في بلاد الرافدين" الذي تزعمه أبو مصعب الزرقاوي.

وأوضحت أن مرجع المولوي في لبنان هو الشيخ أبو حفظ المصري من طرابلس، وأكدت أنه سجن بين سنتي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩ بتهمة الانتماء إلى تنظيم "فتح الإسلام". وفيما يتعلق بعلاقاته بسوريا أشارت المحطة إلى أن المولوي تردد على مدن سورية عدة بينها القصير وباب دريب في حمص وجبل الزاوية بإدلب.

في المقابل أكد نزار شقيق شادي المولوي أن شقيقه إنسان ملتزم وبسيط لم يعرف السفر قط، وأنه زار بيروت خلال تأديته واجب الخدمة العسكرية ومن حينها لم يعد إلى العاصمة اللبنانية ملحقاً إلى أن ما أُلصق بشقيقه من اتهامات بالارتباط بتنظيم القاعدة لا يستقيم مع الحياة اليومية البسيطة لشادي التي ترتبط بأماكن معروفة يوجد فيها غالباً. لكنه اعترف في حديث سابق مع قناة الجديد بأن شادي المولوي كان يقوم بمساعدة الثوار السوريين عبر تأمين المساعدات للأهالي واللاجئين.

نجيب ميقاتي

من الصعب تخيل أن يتمكن رجل أعمال حديث العهد نسبياً بالسياسة كنجيب ميقاتي، من الصمود أمام عواصف كالتى هبت على لبنان في مايو/ أيار ٢٠١٢، فما بالك إذا كان لا يستند إلى تيار أو بيت متمرس في السياسة اللبنانية أبا عن جد. فرصيد الرجل في إدارة تناقضات يتداخل فيها المحلي بالإقليمي،

والسياسي بالأمني، والديني بالديني، متواضع نسبياً. فقد وفد إلى السياسة لأول مرة وزيراً للأشغال العامة عام ١٩٩٨ في حكومة سليم الحص. لكنه بدأ منذ ذلك الحين ارتقاء السلم بثبات. فترشح لعضوية البرلمان عن مسقط رأسه طرابلس عام ٢٠٠٠ وفاز، ثم استأنف عمله وزيراً لأشغال في حكومة رفيق الحريري اللاحقة.

في عام ٢٠٠٥ قفز اسم الرجل فجأة إلى الواجهة بعد استقالة حكومة عمر كرامي إثر اغتيال رفيق الحريري، ليتبين أنه عنوان لمرحلة انتقالية توافقت كل من السعودية وسوريا وفرنسا عليها للعبور من خلال الرجل إلى أول انتخابات نيابية بعد انتهاء النفوذ السوري المباشر. وخاض ميقاتي التجربة التي اشترطت عدم ترشحه للبرلمان، ونجح فيها ليدخل إلى نادي رؤساء الحكومات معيدا الاعتبار إلى مسقط رأسه طرابلس كقابلة لرؤساء حكومات ليسوا بالضرورة من آل كرامي.

وفي انتخابات عام ٢٠٠٩ التشريعية عاود المحاولة، فكرر النجاح بالتجربة رغم سطوة تيار المستقبل وتأثيره على الوسط المسلم السني في أرجاء لبنان وفي شماله بالذات. وبدلاً من المرجعية التقليدية المتمثلة باسم العائلة، لجأ ميقاتي لتكريس نفوذه بالمدينة عبر العمل الخيري. فكانت جمعية "العزم والسعادة" -التي يحمل شقها الأول اسم والده- قناة تواصله مع أبناء مدينته.

وعندما قرر فريق ٨ آذار الانقلاب على حكومة الوحدة الوطنية برئاسة سعد الحريري في يناير/ كانون الثاني ٢٠١١ على خلفية الخلاف على قضية شهود الزور، كان ميقاتي الخيار البديل، رغم الشكوك في فرصه في الرعاية الإقليمية باعتبار أن العلاقات السورية السعودية كانت تمر بأسوأ حالاتها.

لكن ميقاتي نجح في ترؤس حكومة بديلة لحكومة الحريري دون أن يسقط في شبهة التبعية الكاملة لحزب الله. واستطاع الحصول على موافقة عربية على سياسة النأي بالنفس التي التزمها تجاه الأزمة السورية منذ بدايتها. كما نجح في اجتياز المطبات المحلية إلى حين انتقال نار الثورة السورية إلى أراضي لبنان بعد توقيف السلفي شادي المولوي في طرابلس أواسط مايو/ أيار الماضي.

فقد توافقت تلك القضية مع تجدد الاقتتال على جبهة طرابلس التقليدية بين حيي باب التبانة وبعل محسن، لكن هذه المرة على خلفية دعم فريق الأزمة السورية. وتبعها مباشرة مقتل رجلي دين سنين على أيدي الجيش في عكار، وأخيراً اقتحام مسلحين لمكتب حزب التيار العربي في بيروت في تطور أعاد أجواء الحرب الأهلية اللبنانية بين ١٩٧٥ و١٩٨٩.

وقتها طولب ميقاتي بالاستقالة دون أن يتضح كون ذلك مطلباً محلياً لفريق ١٤ آذار أو إقليمياً لرعاته في السعودية. ولم تنتضح الصورة إلا عندما حضر فرقاء ١٤ آذار بدون سمير ججع إلى الطاولة في ١١ يونيو/ حزيران ٢٠١٢ تاركين وراءهم شرط رحيل حكومة ميقاتي.

أما في طرابلس -ميدان السياسي اللبناني المذكور- فكانت زيارة الموقوف السلفي شادي المولوي له في منزله لشكره بعد إطلاقه، مؤشراً على نفوذ آل ميقاتي في المدينة. وضاعف صورة هذا النفوذ، ما تردد عن عقد لقاءين مع مشايخ طرابلس، أولهما ضيق ومغلق، والثاني موسع حضره أكثر من ٦٠ شيخاً من مختلف الاتجاهات الإسلامية في المدينة، كان على رأسهم أبرز وجوه الحالة السلفية.

نجيب ميقاتي يرفض الاتهامات التي توجه إليه بإمداد جماعات طرابلس السلفية بالسلاح، ويرد على الاتهام قائلاً "نعم أنا أسلح أهل المدينة بالعلم والمشاريع، ولم ولن تكون ثقافتني هي ثقافة السلاح، بل ثقافة السلام والعلم والوسطية"

رفعت عيد

لا يمكن لزائر حي جبل محسن في مدينة طرابلس اللبنانية قبل جولة القتال الأخيرة مع باب التبانة، إلا أن يفاجأ بلافتات معلقة على مباني هذه الضاحية الفقيرة يصل طول بعضها إلى عشرة أمتار. وكلها لرفعت عيد منفرداً، أو له مع أبيه علي، أو لهما في جلسة شبه عائلية تضمهما إلى الرئيس السوري بشار الأسد. صورة هذا السياسي الشاب الذي لم يبلغ الثلاثين من العمر ألحقت بلقب "القائد". ونعت والده بأنه زعيم لتذكير المشاهد ربما، بأن أول حركة سياسية لعلويي لبنان ولدت على يديه نهاية ستينيات القرن الماضي.

لا يحتاج التعرف على أفكار ومعتقدات الممثل الحالي لعلويي لبنان إلى جهد شأنه في ذلك شأن اسمه الأول الذي يتطابق مع اسم شقيق الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد الذي كان يده اليمنى في حروبه الداخلية، وخصوصاً مع الإخوان المسلمين، قبل أن يختلف معه وينفيه إلى الخارج، بالتفاهم مع قادة الاتحاد السوفياتي في ثمانينيات القرن الماضي.

يكفي أن تجلس في مكتب رفعت عيد في قلب بعل محسن، وتتنظر إلى الصور المنثورة بعناية على رفوف مكتبته. ثمة صورة لحافظ الأسد وأخرى نصفية لبشار الأسد بالبزة العسكرية، وثالثة لمؤسس حركة أمل الشيعية بلبنان موسى الصدر، إلى جانب صور للأمين عام لحزب الله حسن نصر الله، وللنائب سليمان فرنجية الحليف الماروني الأول لسوريا في لبنان. إلى جانب الصور هناك مجسم لسيف مشقوق يرمز إلى الإمام علي بن أبي طالب الرمز الروحي للشيعية. وشهادة تؤكد تخرج عيد من الجامعة الأميركية اللبنانية: إحدى جامعات النخبة بهذا البلد.

ورث رفعت عيد الزعامة عن والده في تطبيق لعادة لبنانية متأصلة، وهو يقف حالياً منفرداً في الواجهة دفاعاً عن مصالح هذه الجماعة اللبنانية، التي منحها لبنان أول صفة تمثيلية، عندما أدخل مطلع تسعينيات القرن الماضي اثنين من أبنائها إلى البرلمان، برعاية سورية مباشرة. ورغم ذلك لا يتردد عيد في الشكوى من حلفائه وخصومه من الطبقة الحاكمة اللبنانية، جراء ما يراه تهميشاً للعلويين المنتشرين بين طرابلس وقضاء عكار والذين يقدر عددهم بـ ١٣٠ ألفاً. فقد دعا خلال لقاء للجزيرة نت معه مطلع عام ٢٠١١ سياسيين لبنانيين إلى توزيع علوي "بغض النظر عن الشخص". وعبر الأسبوع الماضي عن انزعاجه لخلو طاولة الحوار الوطني التي يرعاها رئيس الجمهورية ميشال سليمان من ممثل لطائفته.

يصنف عيد علاقة العلويين اللبنانيين بسوريا حسب حوار أجري معه في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي بأنها "كعلاقة الشيعة بإيران والسنة بالسعودية وموارنة لبنان بفرنسا". وفسر سر هذه العلاقة خلال لقاء مع المبعوث السابق للأمم المتحدة إلى لبنان مايكل وليامز عام ٢٠١٠ بأن "الجميع (بلبنان) يريدون أكلنا، وأن السوريين وحدهم يستمعون إلينا بانتباه". ويوضح هذا الموقف إلى حد كبير، دواعي تصريح غير مألوف له الشهر الماضي طالب في سياقه الجيش السوري بالعودة إلى لبنان "الضبط الأمن" أي بعد سبع سنوات من مغادرته قسراً لهذا البلد.

لا يخفي رفعت عيد -الذي يحمل لقب المسؤول السياسي في الحزب العربي الديمقراطي- امتلاك حزبه لترسانة حربية ذات شأن، وتهديد خصومه بها حيث يقول "نحن أقوىاء جدا، لا نعتدي على أحد، ولكن إذا اعتدى أحد علينا، فإننا نعرف كيف ندافع عن أنفسنا، والمسؤولون في لبنان جميعهم بدون استثناء يعرفون ذلك". ويقول أيضا "نعم نملك السلاح، وهو عندنا أهم من الخبز".

مالك الشعار

ظهر مفتي طرابلس والشمال الشيخ الدكتور مالك الشعار كلاعب سياسي لأول مرة عندما استضاف في منزله بالمدينة موقعي الاتفاق الذي أنهى جولات الاقتتال التي انطلقت في المدينة بالتزامن مع أحداث ٧ مايو/أيار الشهيرة ببيروت، لكنها استمرت بين باب التبانة وجبل محسن حتى أغسطس/آب ٢٠٠٨.

ورغم أن الراعي الرسمي للاتفاق بين زعيم تيار المستقبل سعد الحريري وزعيم الحزب العربي الديمقراطي علي عيد ونجله رفعت كان رئيس الحكومة فؤاد السنيورة، إلا أن إبراز دور الشعار لم يكن بلا دلالة، في وقت كانت فيه مفتي الجمهورية محمد رشيد قباني ذاته محسوبا على تيار المستقبل.

ربما كان إظهار دور مفتي طرابلس -الذي تولى منصبه في ذات العام- ضروريا لتيار المستقبل، الذي كان يستعرض قوته في طرابلس والشمال وقتها عبر تكليف نوابه في طرابلس وعمار-وليس في بيروت وصيدا- أمر الردود النارية على مواقف حزب الله وأمينه العام حسن نصر الله مهما كانت طبيعتها.

بيد أن ما كان يصح في زمن حكومة السنيورة وحكومة الحريري التي اتخذت اسم "حكومة الوحدة الوطنية" لم يعد مقبولا في زمن حكومة نجيب ميقاتي. فالأخير الذي كان حليفا للحريري في انتخابات عام ٢٠٠٩، جاء إلى الحكم بعد انقلابه على تقاهم غير مكتوب معه، أتاح له في مرحلة لاحقة خلافته في المنصب، على رأس حكومة كان فريق ١٤ آذار يصر على تسميتها على مدى أكثر من عام "حكومة حزب الله".

في ظل هذه المناخات امتد الربيع العربي إلى سوريا. وبعد عام من تمكنه منها انتقلت نيرانه إلى طرابلس اللبنانية في فبراير/شباط ٢٠١٢، حيث باب التبانة وجبل محسن: الجبهة المفتوحة للحروب بالوكالة بين سوريا وخصومها اللبنانيين وورعاتهم الإقليميين أحيانا في هذه المحطة لم تتطابق أولويات مفتي طرابلس مع ميقاتي ابن المدينة ومبتدع سياسة النأي بالنفس عن الأزمة السورية، و صاحب المصلحة الأولى بعدم انتقال الحريق السوري إلى طرابلس التي تمثل المجال الحيوي لنفوذ.

فريق العمل :

صحفيون : محمد العلي ، مصطفى أبو ضريسة

مراسلون : نقولا طعمة ، جهاد أبو العيس

مدققون : عزيز الياسري، مختار ولد أحمد ، جاد الكريم ، عبد الحكيم أحمين

مصممون : محمد الكندي، مصطفى أبو عين

المراجع : طرابلس، محمد أبو سمرا ، دار الساقى ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠١١

يوم الجمعة يوم الأحد ، دار النهار للنشر، بيروت ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨